الدر النضيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الحمد لله الواحدة والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصلى الله عليه وعلى أله وصحبه اللهم اجعل عملنا صالحًا ولوجهك خالصًا ولا تجعل لأحد فيه غيرك شيئًا اللهم لا حول ولا قوة لنا إلا بك فأعنا بحولك وقوتك على إتمام ما بدأناه إنك ولي ذلك ومولاه وبعد .

وصلنا بفضل الله تبارك وتعالى ومنه وكرم علينا في كتاب { **الدر النضيد** } إلى حكم من اعتقد في مخلوق يضر أو ينفع من دون الله سبحانه جل في علاه .

قال المصنف رحمه الله : [وإذا تكرر هذا فلا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه إما استقلالًا أو مع الله تعالى أو ناداه أو توجه اليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ولا افرده بعبادته] :

وإذا تكرر هذا : يعني ما سبقه .

المسألة الأولى (حكم من اعتقد في غير الله النفع والضر) :

** أما من اعتقد فيه النفع والضر استقلالًا من دون الله .

** أو فيه نفع الضر مع الله سبحانه جل في علاه .

وكذلك حكم من سأل أو استغاث غير الله أو بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؟ الحكم أن هذا كفر أكبر مخرج من الملة .

الأول : كفره في (**الربوبية**) حيث صرف خصيصة من خصائص الله تبارك وتعالى في الربوبية لغيره واعتقد فيه النفع والضر .

الثاني : قد أشرك في (**الربوبية والإلهية**) .

فاعتقد عندما سأله في شيء لا يقدر عليه إلا الله :

**دل ذلك أنه يعتقد فيه ما لا يعتقد إلا في الله وهذا شرك في الربوبية .

**وكذلك اعتقد أو صرف إليه العبادة إلا وهي الاستغاثة أو الدعاء .

سؤال : ما الدليل على ذلك ؟

جواب : الدليل على ذلك :

أولًا : على ذلك قول الحق تبارك وتعالى : ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 38]

في هذه الآية الكريمة يقول الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني هؤلاء الذين صرفتم إليهم العبادة من دون الله هل يمكن لواحد منهم أن يكشف ضرًا أنزله الله بعبد أو أن يمسك رحمة أرادها الله تبارك وتعالى بعبد سبحانه جل في علاه؟ الجواب لا فهم لا يملكون ضرًا ولا نفعًا فمن اعتقد في غير الله ضر أو نفع فقد كذب الله في هذه الآية ومن كذب الله فقد كفر .

ثانيًا : قال الله تبارك وتعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 56]

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ : أي لا هذا لأي أحد لا يملك من دون الله تبارك وتعالى كشف الضر عنكم ولا تحويلا .

فكل من دعي من دون الله عاجز ومن اعتقد غير ذلك فهو مكذب بالقرآن كافر .

ثالثًا : قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: 107]

وهذا أيضًا نص منه سبحانه جل في علاه أن الخير بيد الله وحده وأن الضر بيد الله وحده ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ فلا يكشف هذا الضر عنك إلا الله ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ فلا يرد هذا الخير عنك أحد بحال من الأحوال .

رابعًا : قال الله وتعالى : ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: 2]

هذا نص على أن النفع والضر بيد الله وحده سبحانه جل في علاه .

وكما قلنا ومن اعتقد غير ذلك في غير الله فقد كذب الله وكفر بالقرآن .

أما من سأل غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا نسأل الله العفو والسلامة شبه الخالق بالمخلوق :

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65] وهذا استفهام إنكاري ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ يعني هل تعلم له نظير؟ الجواب لا .

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : 4] لم يكن له مكافئ لم يكن له مساو سبحانه جل في علاه.

فمن سأل المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق فقد ساوى بين الله وبين خلقه ورد الآيات وكذب القرآن وكفر بالله الرحمن .

قد يقول قائل : هناك بعض الناس الله أقدرهم على بعض الأمور؟

أقول : نعم أقدرهم على بعض الأمور فمن سأل أو اعتقد في المخلوق ما يقدر عليه المخلوقين في الأمور التي أقدرهم الله عليها لا إشكال في ذلك .

فإن الآيات تتحدث عن ماذا؟ عن الضر والنفع المطلق لا الضر والنفع المقيد فأنا أقدر على أمور الذي أقدرني عليها

هو الله وأنت تقدر على أمور التي أقدرك عليها هو الله فهذه أمور تابعة لكن نتكلم عن النفع والضر المطلق فهذا لا يقدر عليه إلا الله سبحانه جل في علاه بدلالة هذه الآيات السابقة ومن سأله من غير الله أو اعتقده في غير الله فقد كفر برده القرآن الصريح .

وعليه فخلاصة الباب :

** من اعتقد في غير الله النفع والضر إما على سبيل الاستقلال أو التشريك فهذا قد أشرك في الربوبية .

** ومن سأل غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا قد أشرك في الربوبية كذلك أشرك في الإلهية حيث صرف إليه العبادة وهي السؤال والدعاء لغير الله سبحانه جل في علاه .

وهذا بلا شك مناف للإخلاص في التوحيد وافراد الله بالعبادة وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5] وهذا الذي صرف الدعاء والاستغاثة لغير الله سبحانه لم يخلص العبادة لله فالله تبارك وتعالى بين في هذه الآية أن العبادة محصورة مقصورة عليه ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فصرف العبادة لله ونفيها عما سواه وهذا هو الاخلاص هذا هو الاخلاص في التوحيد فمن صرف العبادة لغير الله لن يخلص في التوحيد بحال من الأحوال .

وكذلك هذا معنى (**لا إله إلا الله**) أي لا معبود حق الا الله وهي كلمة الإخلاص وهذا جعل معبودًا غير الله سبحانه جل في علاه صرف له العبادة وهذا أيضًا مناف لإفراده سبحانه بالعبادة يعني منافي لتوحيد الألوهية قال الله تبارك وتعالى حاكيًا عن المشركين : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: 70] أي أجئتنا لأن نفرد العبادة بالله وحده وهؤلاء عندما صرفوا العبادة لغير الله حقًا لم يفردوا الله تبارك وتعالى بالعبادة .

ثم قال رحمه الله : [إذ الدعاء بطلب وصول للخير إليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة إذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه ودفع الضر عنه هو نوع من انواع العبادة] :

وهذا سبق بيانه النبي عليه الصلاة والسلام يقول : [الدعاء هو العبادة] ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجرًا أو شجرًا أو ملكًا أو شيطانًا كما كان يُفعل ذلك في الجاهلية وبين أن يكون إنسانًا من الأحياء أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين .

المصنف هنا على مسألة ألا وهي أننا لا ننظر إلى المدعو ننظر إلى حقيقة الدعوة يعني لا ننظر من الذي أُشرك أي وقع به الشرك (**اللات العزى شجر حجر نبي ملك طالح حي ميت**) فهذا لا يؤثر في الحكم الذي يؤثر في الحكم حقيقة الشرك ما هي حقيقة الشرك؟ حقيقة الشرك هي أن تصرف العبادة لغير الله شرك في الإلهية ان تصرف العبادة لغير الله سبحانه جل في علاه .

أو قل الشرك في العموم هو أن تنسب شيئًا من خصائص الله سبحانه جل في علاه لغير الله سواء كانت هذه الخاصة بالأسماء والصفان فيكون شركك في الأسماء والصفات أو تكون خصيصة في الربوبية فيكون شركك الربوبية أو خصيصة في الإله وتوحيد العبادة سيكون شركك في الإلهية وتوحيد العبادة .

وهنا المصنف رحمه الله رحمة واسعة يتحدث عن توحيد العبادة فنقول وعليه فالشرك في الألوهية هو صرف شيء من خصائص الله في العبادة لأحد من المخلوقين أو قل صرف عبادة لغير الله سبحانه قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117] فسمى الله تبارك وتعالى من دعا غيره أنه اتخذ هذا الغير إلهًا بنص القرآن : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ وبين الله تبارك وتعالى أن هذا الفعل حكمه كفر ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ .

وهنا لا فرق في أيًا كان هذا المدعوم فالنبي عليه الصلاة والسلام لما قال لمعاذ بن جبل : [أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟] قال له معاذ الله ورسوله أعلم قال [فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا]

لا يشركوا : يعني لا شرك أكبر .

يعني هنا [ولا يشركوا به شيئًا] هنا فعل بسياق النهي يفيد العموم أي شرك أكبر أو أصغر .

ولا يشركوا به شيئًا : أي أيًا كان هذا الشرك (ملكًا مقربًا نبيًا مرسلًا حجرًا شجرًا شيطانًا وليًا صالحًا طالحًا حيًا ميتًا)

أيًا كان فهذا لا يؤثر في حقيقة الشرك .

قال : [وكل عالم يعلم هذا ويقر به فإن العلة واحدة وعبادة غير الله تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يقول الجماد] .

العلة واحدة ما هي العلة؟ العلة في الشرك هنا (صرف العبادة لغير الله أو اعتقاد النفع والضر لغير الله) هذا شرك

الأول : صرف العبيد لغير الله شرك في الإلهية .

الثاني : اعتقاد النفع والضر في غير الله هذا شرك في الربوبية .

فمتى اعتقد ذلك أو متى صرف عبادة فقد وقع في الشرك لا محالة سواء كان اعتقد ذلك أو صرف العبادة (لملك أو لرسول أو لجماد أو لحجر أو لشجر) فإن هذا لا يغير حقيقة شرك فالشرك حقيقته في علته التي ذكرناها .

قال : [وكل عالم يعلم هذا ويقر به فإن العلة واحدة وعبادة غير الله تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد وللحي كما يكون الميت فمن زعم أن ثم فرقًا بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر أو ينفع وبين من اعتقد في ميت من بني آدم أو حي منهم أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا الله] :

هنا المصنف رحمه الله رحمة واسعة قال إذا علمت أن هذه حقيقة الشرك فالذي يزعم أن هناك فارق بين ما كان عليه المشركون الأوائل كالذين كانوا يعبدون الأصنام وعباد القبور الآن الذين يعبدون القبور لا فارق :

** بين من اعتقد في وثنه من الأوثان أنه يضر وينفع .

**وبين من اعتقد في ميت من بني آدم آو حي من الأحياء أنه يضر ويتفع .

فإن العلة واحدة فهذا وقع في شرك الربوبية وهذا وقع في شرك الربوبية .

- كذلك وبين من اعتقد أنه يقدر على شيء لا يقدر عليه إلا الله وبين من يعتقد في مقبور أنه يقدر على أمر لا يقدر عليه إلا الله فهذا وقع في الشرك وهذا وقع في الشرك .

- كذلك من دعا هذا الصنم أو دعا اللات أو دعا العزة في الأشياء التي تخص بالله كأن يقول اشفني أو ارزقني أو زوجني أو غير ذلك أو يدعو المقبور أو الولي فإن هذا سواء فإن الكل سواء أو اعتقد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه يعني اعتقد فيه أنه يقدر على أمور لا يقدر عليها إلا الله .

- كذلك الذي اعتقد في البدوي أنه يقدر على أمور لا يقدر عليها إلا الله فلكل واحد والعلة واحدة .

- أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه من تقرب بالنذر والعبادة من المشركين الأصنام والأوثان كالذي تقرب بالنذر والعبادة للمقبورين وللأولياء الصالحين فلكل سواء لا فرق بين هذا وذاك .

قال المصنف رحمه الله : [ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكًا بالصنم والوثن والإله لغير الله زيادة على التسمية بالولي] :.

يعني المصنف يقول ليس لأنهم سموه أصنام أو سموه إله وانت سميته ولي صالح يبقى هناك فارق العلة ليست في التسميه سميه أي شيء العلة ليست في التسمية فلتسمه ما شئت العلة في حقيقة فعلك فأنت سميته وليًا وسميته قبرًا وسميته مشهد كما يفعل كثير من المسلمين .

هنا يقول الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما يحصل لمن كان يعتقد بالصنم والوثن فلو أنت اعتقدت في القبر والمقبور والولي الصالح والمشهد ما كان يعتقده أهل الجاهلية في أوثانهم ما الفارق ؟ لا فارق إذا ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات بل الشرك هنا المصنف رحمه الله يضع يده على حقيقة الشرك هو (أن يفعل لغير الله شيء يختص به سبحانه) .

ونقول بعبارة أجمل من ذلك أو أوسع من ذلك وبالله التوفيق هو صرف شيء مما يختص به الله سبحانه جل في علاه لغير الله سواء كان هذا الشيء متعلق بالأسماء والصفات فيكون شركًا في الأسماء والصفات أو كان شيئًا من الربوبية فيكون شركًا في الربوبية أو كان شيئًا من الإلهية فيكون شركًا في الإلهية .

فالمصنف هنا رحمه الله وكأنه حصر الشرك في الإلهية لأن هذا هو المقصود من الكتاب وأن هذا هو محل النزاع مع القوم الذين صرفوا العبادة للمقبورين من دون الله سبحانه جل في علاه فيقول (الشرك هو أن يفعل لغير الله) فالمقصود يفعل (لغير الله شيئًا مما يختص به سبحانه) ما الشيء الذي من فعلي يختص به سبحانه جل في علاه ؟ العبادات إذا فعلت عبادة أو فعلت أنت عبادة لغير الله وهي مختصة بالله فهذا هو الشرك سواء أطلق على ذلك الغير ما كانت تطلق عليه الجاهلية (صنم - وثن - إله) أو أطلق عليه أسما آخر (السيدة البدوي السيدة زينب أبو العباس المرسي ولي من أولياء الله الصالحين) أطلق كما تطلق فلا اعتبار بالاسم قط .

وهذا الذي ذكره المصنف ينبغي أن يتفطن إليه وهل عبادة عيسى عليه السلام جعلت الأمر ليس شركًا أو جعلته ليس شرك قطعا جعلته شرك وهو من؟ وهو من أولي العزم من الرسل وهو من الرسل العظام الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومع ذلك ليس لأنه عيسى لم يكن فعلهم معه شرك بل كان شركًا أيضًا فكيف لمن يصرف هذه العبادة بولي وهو أدنى من عيسى بلا شك عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

قال : [ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم] :

يعني هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله وكأنه قال من لا يعرف هذه الأمور لا ينبغي له أن يتكلم في العلم وأن يرد على كلامه ولا حول ولا قوة إلا بالله وهذا مع الأسف الشديد من وجد كتابات القبوريون وجد فيها من الضحالة العلمية ومن السفاهة ومن الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وعلى وصحبه وسلم الجمع الغفير .

لذلك لا ينبغي أن يسترسل معهم في مثل هذه الأمور لأنهم أصالة ليسوا بعلماء ولا يتكلموا كلام العلماء سبحان الملك هؤلاء لم يشاهدوا يعني عباد الله لم يشاهده الأفلام والمسلسلات التي حكت هذه الفطرة يعني يكون أهل الفن وأهل التمثيل يعرفون كيف كان المشركون يفعلون مع الأصنام وأنتم لا تعرفون؟ أيكون أهل الجاهلية الكفار المشركون يعرفون معنى (**لا إله إلا الله**) وهؤلاء يخرجون علينا كعلماء ولا يعرفون معنى (**لا إله إلا الله**) .

أيقول المشركون للأنبياء والمرسلين الذين أتوا لهم بـ (**لا إله إلا الله**) يقولون لهم : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: 70] وأنتم تقولون لا معناها ليس كذلك يعني هذا الذي فهمه الكفار من الأنبياء والمرسلين وأنتم تقولوا لا فليس هؤلاء يعني يستفصل معهم في هذه السفاهة التي يتحدثون فانتبهوا يرعاكم الله .

ثم قال رحمه الله : [وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمهم واعتقاد أنها تضر وتنفع والاستغاثة بها عند الحاجة والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم] :

انتبه لكلام الذي ذكره المصنف هنا كلام قد يوهم ماذا قد يوهم؟ قد يوهم ما ذهب إليه القوم من أن العبادة تحتاج إلى اعتقاد في الربوبية وهذا خطأ محض لا نشك في ذلك لكن مقصد المصنف والعلم عند الله سبحانه جل في علاه ما سنذكره اليوم الآن .

وهذا هو المعنى الصحيح الذي ينبغي أن يوجه إليه كلام المصنف هنا فانتبه لأصل المشكلة أصل المشكلة أن القبور يزعمون أن الفارق بينهم وما يفعلونه بالأولياء وغير ذلك والقبور وبين أهل الشرك أن أهل الشرك كانوا يصرفون

العبادة للأصنام ويعتقدون فيها النفع والضر وأفراد الربوبية إذ أن العبادة عندهم لا تسمى عبادة إلا مع اعتقاد الربوبية هكذا زعموا .

فخرج علينا القبوريون فقالوا أما نحن فلا نحن نعتقد أن أفراد الربوبية لله وحده سبحانه جل في علاه فبالتالي لا يسمى هذا شرك وهذا الذي قالوه خطأ محضًا وسيأتي إن شاء الله تبارك وتعالى تفنيده بإذنه سبحانه وبحوله وقوته لكن هنا كلام المصنف قال : **[قد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أنها تضر وتنفع] :**

هل كان المشركون يعتقدون في أصنامهم أنها كانت تضر وتنفع إن قلنا طبعًا لا ينكر أحد انتبه إن قلنا أنهم ما كانوا يعتقدون فيها النفع والضر كأنهم كانوا يقولون : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3] وهذا نوع نفع وقالوا ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: 18] وهذا نوع نفع لكن .

السؤال : هل كانوا يعتقدون فيها النفع والضر على سبيل الاستقلال من دون الله أم على سبيل التبعية فيما أقدرهم عليه الله سبحانه وتعالى .

الجواب : على سبيل التبعية جزمًا والأدلة على ذلك كثير :

** قال الله تبارك وتعالى : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ *أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 70 - 74] فنصوا وأقروا أنها لا تنفعهم ولا تضرهم نصوا على ذلك بل : ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾

** وقال الله تبارك وتعالى مبينًا أن المشركين أقروا إقرارًا تامًا أن الله تبارك وتعالى متفرد بملك وتدبير هذا الملك قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون: 88 - 89]

فالمشركون يقرون بذلك من قال أنهم كانوا يعتقدون فيهم النفع والضر على سبيل الاستقلالية هذا كذاب أفاك أثيم مكذب للقرآن الكريم وقد ورد في تلبيتهم أنهم كانوا يقولون (**لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك**) ثم يقولون تعالى الله عن ذلك (**إلا شريكًا هو لك ملكته وما ملك**) لا يعتقدون فيهم أي شيء يعتقدون فيهم نفع الوساطة نفع الشفاعة غايته نفع أقدارهم الله عليهم سبحانه جل في علاه وإلا فأصل النفع والضر ما كانوا يعتقدونه إلا في الله وكل أفراد الربوبية ما كانوا يعتقدونها إلا في الله سبحانه جل في علاه .

انظر إلى إبراهيم عليه السلام لما قال لهم : ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 66 – 67] لم يقولوا له نحن نعتقد فيهم النفع والضر بل : ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 68] فهذه مسألة ينبغي أن يتفطن إليها .

قال : [وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أنها تضر وتنفع والاستغاثة بها عند الحاجة والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم] :

هنا وكأن المصنف يقول حقيقة الشرك الذي كان عليه المشركين مع أصنامهم أنهم كانوا يصرفون لها العبادة من دون الله سبحانه جل في علاه بالأموال كالنذور وغيرها وبالاستغاثات وباللجأ إليهم وسماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الأمر مشركين .

ثم قال : [وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور] :

نحن نقول للمصنف بل وقع ما هو اسوأ من ذلك فإن أهل الشرك كانوا إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وأهل القبور كانوا إذا أدلهم بهم الخطب ونزلت بهم الخطوب الحوالك لجأوا إلى السيد البدوي من دون الله سبحان ربي العظيم .

قال : [وهذا كله وقع من المعتقدين في القبورفإنهم قد عظموها إلى حد لا تكون إلا لله سبحانه بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبًا منه] :

فمثلًا يزور البدوي لا يعصي الله مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميل وربما لا يتركها لو كان في المسجد والله العظيم هذا رأيناه يبجل القبور والمشاهد ويفعل أمامه أمور لا يفعلها في بيت من بيوت الله بل لا يفعلها مكة المكرمة في حرم الله .

انظر إلى عباد القبور كيف يفعلون عند القبور وكيف يفعلون عند بيت الله الحرام ترى بعينك جاهلية جهلاء وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله أو في مسجد من مساجد أو قريب من ذلك .

قال : [وربما حلف بعض غلاتهم في الله كذبًا ولم يحلف بالميت الذي يعتقده] :

يحلف بالله كذب ماشي يحلف بالسيد البدوي كذب أبدًا أبدًا تعالى الله عما يقول الكافرون علوًا كبيرًا سبحان ربي العظيم .

قال : [وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدعوا أحد منهم ميتًا أو حيًا عند استجلابه لنفعه لنفع أو استدفاعه ضر قائلًا يا فلان افعل لي كذا وكذا وعلى الله وعليك و أنا بالله وبك] :

يعني الإمام الشوكاني يقول لو قلتم أنتم لا تعتقدون في القبور النفع والضر وفي الأولياء النفع والضر أجاب المصنف فقال (لو لم تكونوا تعتقدوا فيها النفع والضر وإن كانت حقًا ضمائركم لا تشتمل على هذا الاعتقاد لم تكن لتقول له يا فلان وفلان أفعل لي كذا وافعل لي كذا كيف يفعل وهو لا يملك وأنت تعتقد أنه لا يملك نفعًا ولا ضرًا لم تكن لتقل عليه يومًا أنا بالله وبك لم تكن تقول له يومًا أنا على الله وعليك لم تكن عند الخطوب والدواهي والامور العظام تلجأ إليه وتستغيث وهذا بلا شك عين اعتقاد أهل الشرك) .

ولا حول ولا قوة إلا بالله بل أزيد على كلام المصنف لو لم يكن يعتقدوا فيها النفع الذي كان يعتقده أهل الجاهلية لما اتخذوهم وسطاء إلا يدعي أهل القبور أنهم صرفوا العبادة للأولياء كوساطة وهذا عين قول المشركين : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3] يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاعتقدوا فيهم نفعًا وهو التقريب إلى الله الشفاعة إلى الله سبحانه جل في علاه وهذا عين اعتقاد هؤلاء القبوريين نسأل الله العفو والسلامة .

وهنا يحسن قبل الشروع في بقية الكتاب في المرة القادمة إن شاء الله تبارك وتعالى الذي سيبين فيها المصنف الدأبان أن الدعاء والنذر والذبح لغير الله شرك وهذه سبق الكلام عنه لكن سيأتي عليه إن شاء الله تبارك وتعالى مرة أخرى نقول قبل ان نشرع في ذلك يحسن التقدم بين هذا بمقدمتين انتبه غليهم لأن في هذا الكلام من الفوائد التأصيلية في هذا الباب المر الجلل :

المقدمة الأولى : (ما هي العبادة؟) :

العبادة تعريفها يختلف بتعريف المعرف .

ما المقصود بهذا التعريف؟ العبادة :

** باعتبار ما يتعبد به فأجمع ما قيل فيها (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) وهذا سبق أن تكلمنا عنه .

لكن العبادة باعتبار حقيقتها انتبه معي لأن المسألة لابد من بيانها إذًا العبادة باعتبار أننا نتعبد به ما معنى متعبد بها أي الصلاة الصيام التوكل الرزق الخوف الإنابة الذكر قراءة القرآن إلى غير ذلك اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

** لكن باعتبار حقيقة العبادة هي حقيقة فعلك ما هي حقيقة العبادة التي تفعلها أنت .

حقيقة العبادة هي حقيقة مركبة من أمور:

الأمر الأول : اختيار العبد .

الأمر الثاني : غاية الذل والخضوع والتعظيم .

الأمر الثالث : غاية المحبة .

يبقى العبادة لازم يجتمع فيها هذه الأمور ما معنى هذا؟ أتى ملك ظالم غشوم ظلوم قهر إنسانًا فخضع له هذا الإنسان وعظمه وذل له هل يسمى عابدًا الجواب لا لماذا؟ لأنه لم يكن مختارًا لهذا الخضوع والذل ولم يكن محبًا لهذا الملك بل كارهًا بل شك .

طيب لو أن إنسانًا أحب امرأة حبًا شديدًا فلما تركته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هذه حزنًا حتى مات هل يكون أشرك في ذلك؟ لا لأنه لم يكن لها خاضعًا ذليلًا معظمًا .

لكن ما هي العبادة؟ أن تتقدم بالخضوع والذل والتعظيم مع محبة هذا المخضوع له والمتذلل إليه والمعظم مع تمام الاختيار هذه هي العبادة متى تحققت؟ فأنت عابد لله سبحانه جل في علاه أو متى تحققت فأنت قمت بعبادة ؟ فإن فعلت ذلك لله فأنت عابد لله وإلا فلست بعابد لله سبحانه جل في علاه فانتبه لمثل هذه الأمور .

وهذا المقرر الذي ظهر لك يتضح به بعد ذلك مسألة في العبادة من الأهمية بمكان وهي .

مسألة (أن هناك عبادة محضة) :

مثل الصلاة لا يتصور أن تصرف لغير الله لا يتصور أن تأتي على هيئة ليست بعبادة فمن قام يصلي لأي أحد فقد عبده من دون الله وكفر لأن الصلاة تشتمل على الأمور الثلاثة قام مختارًا تسند على التعظيم والخضوع والمحبة لهذا الخضوع له هي عبادة .

مسألة (أن هناك عبادة محتملة) :

وهناك عبادات (محتملة) مثل الدعاء أو قل مثل الاستغاثة أن يستغيث بالشرطي مثلًا هل معنى كده أنه صرف له العبادة؟ هل إذا استغاث بالشرطي يكون مختارًا ؟ نعم يكون مختارًا هل يكون ذليلًا خاضعًا له تمام الخضوع مع تمام المحبة لا ليس فيه هذا المعاني .

لكن إذا استغاث بالله يكون (مختارًا ذليلًا تمام الذل والخضوع والتعظيم مع تمام المحبة) وهنا تكون عبادة إذًا فالاستغاثة بالحي الحاضر القادر ليست عبادة أصالة لذلك الاستغاثة من العبادات المحتملة :

** فيها بعض الوجهات لا تحتمل إلا أن تكون عبادة .

** هناك بعض الوجهات لا يتصور أن تكون عبادة أصلًا .

انظر ماذا يفعل أهل القبور أهل القبور ولا حول ولا قوة إلا بالله أرادوا أن يخرجوا هذا المعنى من العبادة :

** فأتوا إلى العبادات المحضة فقالوا لابد من اشتراط شرط أخير ألا وهو اعتقاد الربوبية .

** وأتوا إلى العبادات المحتملة فماذا فعلوا جعلوا كل الصور كالصور التي يجوز فيها أن لا تكون عبادة .

بالمثال يتضح المقال :

أتوا مثلًا للركوع عند من قال أن الركوع ليس عبادة أو مثلا قل نأتي مثلًا إلى السجود سجد مع عدم اعتقاد أو نذر مع عدم اعتقاد الربوبية قالوا هذا ليست عبادة قالوا النذر لا يكون إلا عبادة لأنه لا يتصور فيه إلا ذلك .

وأتوا إلى العبادات المحضة فماذا فعلوا فيها؟ قالوا لابد من اشتراط شرط أخير ألا وهو اعتقاد الربوبية من لم يعتقد الربوبية فلا يكون بذلك صارفًا للعبادة ولا تسمى هذه عبادة فعندهم خلل في مصمم العبادة وهذا الخلل ناشئ بسبب خلل في تعريف الإله قالوا بدل من إله معبود لا جعلوا الإله هو القادر على الاختراع هذا ضلال مبين .

وأتوا الى العبادات المحتملة مثل (الاستغاثة والدعاء) قالوا لك ألا يجوز الاستغاثة بالحي الحاضر القدر وهذه ليست عبادة؟ قلنا نعم يجوز قالوا إذا الميت (حي حضر قادر) الولي (حي حضر قادر) قلنا لهم الولي كيف يكون قادرًا قالوا الولي عنده القدرة على إحياء الجنين في بطن أمه تدبير الكون من دون الله كل هذا شرك وكفر بالله العلي العظيم هكذا قالوا أما سمعتم يقولون عن أبي العباس المرسي (الغوث القطب المدد العون) إلى غير ذلك يطلقون عليه الألقاب العجيبة .

بل انظر إلى الشيعة الملاعين كيف يتحدثون عن أوليائهم أو كيف يتحدثون عن أئمتهم يتحدثون عن أئمتهم وكأنهم يدبرون الكون من دون الله سبحانه وجل في علاه بل يصرحون بذلك يصرحون بذلك نسأل الله العفو والسلامة والحمد لله على نعمة الاعتقاد السليم .

المقدمة الثانية (هل يشترط في العبادة اعتقاد الربوبية؟) :

هذه المقدمة ولا حول ولا قوة إلا بالله من الأهمية بمكان لا نتكلم عنها الآن .

سؤال : هل يشترط في العبادة اعتقاد الربوبية أو لا يشترط في العبادة اعتقاد الربوبية؟

الجواب : لا يشترط في العبادة حتى تكون عبادة اعتقاد الربوبية بل من قال ذلك قد وقع في ضلال مبين .

والعبادة لا يشترط فيها اعتقاد الربوبية وعلى هذا أدلة :

الدليل الأول : قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء : 70 - 74] .

فسماه عابدين مع أنهم أقروا أنها لا تنفعهم ولا تضرهم فأي إيضاح وبيان أكبر من ذلك .

الدليل الثاني : قال الله تعالى عن إبراهيم أيضًا لقومه : ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء: 66] ما أنكروا عليه بل : ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ .

ولما تكلم مع أبيه : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: 42] فلم ينكر عليه بل قال له : ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ .

وكذلك قال أهل الشرك وهم في الجحيم : ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 98] الآن أهل الشرك يخاطبون الأصنام والأوثان قالوا لهم ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ومن المقرر أن المشركين لم يسووا بين الأصنام وبين رب العالمين في الربوبية بل سووا بين الأصنام وبين رب العالمين في الإلهية ومع ذلك سماهم مشركين وسماهم عابدين وسما هذه الأصنام آلهة ولم يكونوا يعتقدوا فيها اعتقاد الربوبية .

الدليل الثالث : الدليل على ذلك من السياق قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ*وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ*مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ* فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ*وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: 91 – 97]

انظر إلى السياق ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ*وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ سماهم لهم عابدين ومع ذلك لم يكونوا يسوين لهم مع الله في الربوبية بل ومن الآية ما يدل على ذلك أيضًا قالوا : ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فكانوا يعتقدون ويقرون بالروبية العامة لله سبحانه جل في علاه لكل العالمين بما فيهم الأصنام سبحان ربي العظيم فدل ذلك على أنهم عبدوهم وما كانوا يعتقدون فيهم الربوبية بل سووهم رب العالمين في العبادة صرف لهم العبادة من دون الله سبحانه جل في علاه .

والأدلة أتت أيضًا باجتناب الشرك في العبادة عامة سواء كان باعتقاد الربوبية أو غير اعتقاد الربوبية يقول الله تبارك وتعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]

هنا ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ :

يشرك فعل في سياق النهي تفيد العموم شرك أكبر أو شرك أصغر .

وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا : أيضًا يشرك فعل في سياق النهي في العموم سواء كان هذا الشرك مع اعتقاد الربوبية أو مع غير اعتقاد الربوبية نور عام .

والأصرح من ذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117] .

قال : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ لم يشترط سبحانه جل في علاه أن يعتقد فيه الربوبية أو لا بل عممها سبحانه جل في علاه فهاتان مقدمتان من الأهمية بمكان طب فاضبطهما تفز وتربح وتكن من الضابطين إن شاء الله تبارك وتعالى .

نكتفي بهذا القدر هذا ورد العلم إليه أسلم فالله أعلم وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين وجزاكم الله خير الجزاء السلام ورحمة الله وبركاته .